

من رموز الشاه

في مضارب عجيل الياور

شيخ مشايخ شهر
للآنسة زينب الحكيم

تركت بغداد في مساء الاثنين ١٤ من مارس سنة ١٩٣٨
مستقلة للقطار إلى كركوك والساعة التاسعة مساءً، فوصلتها في الساعة
السابعة من صباح اليوم التالي، ذلك لأن المسافة من بغداد إلى
كركوك زهاء ٣٢٦ كيلو متراً، وخط سكة الحديد هذه يمتد
على ضفة نهر دجلة اليمنى ثم اليسرى، وعمرضه متر واحد،
ولا تتجاوز سرعة القطار عليه ٢٥ كيلو متراً في الساعة.
لأنه بنى على أسس واهية، كالجسور الخشبية والقواعد الترابية.
ولأن الأدوات التي استعملت في إنشاء السكك الحديدية هناك لم
تغير منذ ذلك الوقت، فقد بليت.



سيارة الرحلة في كردستان

من الأسبوع الثالث من مارس إلى الأول من أبريل سنة ١٩٣٨
وإدارته كسكة الحديد هي التي تقوم برعاية هذه السكك في العراق،
ولولا العناية التي تبذلها لكان سير القطار من أخطر الأمور،
ولأصبح السفر من جهات العراق النائية إلى بعضها عميراً.
من كركوك أخذت سيارة إلى الموصل، فقطعت ١٦٠
كيلو متراً في جادات ولو أنها فعيدة إلا أن للطر الفزير قد
أتلف أجزاء كبيرة منها، فكاد السير عليها يكون مستحيلاً.

نفسى : قوة في روحى وقوة في جسدى ١

وكان سياحاً ماهراً، وكانت له جولات في السباحة يشهدها
شاطئ سيدى بشر في الصيف، وكان يقصد هو وأسرته للاستحمام
هناك جانباً من الدجلة غير مطروق لمنفوانه وشدة برجه وكان
يمزح ويسميه « بلاج الرافى » إذ قل أن يقصد إليه للاستحمام
أحد من المصطافين في سيدى بشر غير الرافى وأسرته

ولا يظن في قدرة الرافى على السباحة أنه أوشك أن يترق
مرة؛ كان ذلك قبل منعه بأشهر، وكاد يفرق معه طائفة من
أولاده، لولا أن أسرع حارس الشط لتجدتهم

وللرافى صورة طريفة نسرها منذ بضع عشرة سنة، ونمثله
في زى أبطال الرياضة المشهورين : عارى الجسد بارز العضلات؛
وددت لو حصلت على هذه الصورة!

وله مقالات مشهورة عن الرياضة البدنية، نشرها سلسلة
في مجلة « المضار » الرياضية التي كانت تصدر في القاهرة منذ
بضع عشرة سنة

وكانت عنايته بالرياضة من أسباب قوته البدنية، ومن أسباب
قوته المصيبة أيضاً، ومن هاتين كان اصطبار الرافى على العمل
الشاق فيما يمالج من شئون الأدب

ولكنه وأسفا... قد مات بغير علة، لأن القدر أقوى

من احتيال البشر!

محمد سعيد العرياد

« شبرا »

للمضار
ليب علمى مصر وطير نفاذة
لعل انسان بمكوك الوصول على
نفسه بما اذا ارسلت
الاعلان مع من ملبات الى
جاءت ابيات من ٢١٠٥

المضرب الخشبي وهي موضوعة على صخرة سوى تمزيقها ، مالم يكن لسيه من لاتفهمه ١١
في قل أعقر أبي مسنة بلونا من رجال الشيخ عجيل الياور
الآن نشرب الشاي . فأجلسونا في شيخانة (مشرب الشاي) بسيطة ،
أحسن الموجود في القرية ، وغير مزدحمة بالناس . بمد دقائق
قدم لنا الشاي الأسود في كؤيات صغيرة ، وكان طعمه مثل الماء
الذائب فيه (الشبة) الثقيلة جدا

ثم واصلنا المسير ، ومعنا دليل الشيخ . أما عن رداءة
الطريق فحدث ولا حرج ، المطر النهم يكاد يفرق السيارة عن
فيها ، أما العشب الأخضر النضر على جانبي الطريق ، والأزهار
البدية الألوان ، المختلفة الأنواع ، فتسبح كلها في ليج متموجة .
وظهر الجر كأنما خيم عليه ضباب متكلم ، إذ يسمع تصاقط
المطر ولا ترى وحدانه لوزارته وسرعته

منظر من مناظر الطبيعة المظيمة الهائلة ، فضاء في فضاء
لا يحجب النظر فيه إلا الأفق ، ويجري الانسان فيه بقوة العلم
والاختراع . فلاماء المطر على غزارته بمسطيع إطفاء نار السيارة ،
ولا السيارة تكمل من مسابقة المواسف والمطر ، ولا إرادة الانسان
بمستضفة حتى تباع المرى

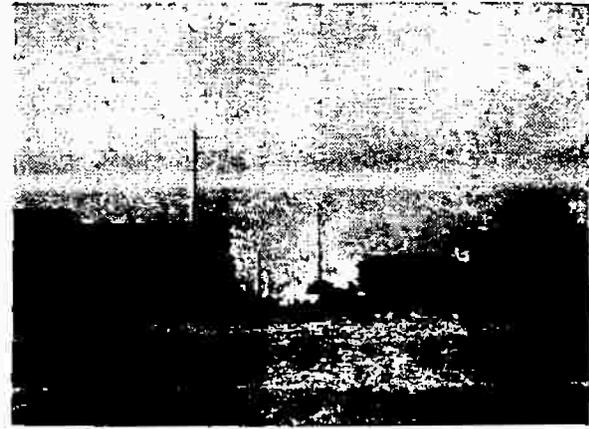
الطبيعة عاصفة نائرة . والانسان جبار لا ينفي عزه متى عزم
هانحن أولاء تترك الطريق العطيني الببال بمد أن سرفاهيه
ساعات ، ويشير الدليل بالسير على مروج خضراء خارقة في السماء ،
وبدأ الخفاق يدق بقوة وسرعة ، فالمشب مرتفع ، ولا يؤمن معه
المشار ، ولكن من ذا الذي يجرو أن يزيد من مخاوف السائق
الكردي التسب ، الذي هدته وعورة الطريق ورداءة الجو ١٢

سبى على بركة الله أينها الجارية ، وأي بركة تحدث لها ،
إذا كان عليها أن تصطدم فجأة بسيل جارف كون نهراً طلياً ١٢
إن للبادية لمخاطر ومفارقات ، وإن لرجل البادية لنظراً
أشار الدليل على السائق بتحويل اتجاهه ، وبثق الأنفاس
خرجنا من المأزق سالمين

هامي ذي النفس تنتمش ، والصدر ينشرح ، فقد ظهرت
بعض بيوت الشعر ، وفي مقدمتها الخيام البيضاء — خيام النور
والنور ، والكرم والضيافة — التاب شيخ المشايخ

بعد أن قضيت بضعة أيام في الموصل رأيت فيها معالمها
التاريخية ، والانشائية ، وجزءاً كبيراً من أطرافها (كبلدة
تلكيف ، والشيخ عدى ، والهادية وغيرها) ، وبعد أن فرجيني
على بساينها الغناء ، ومبانيها الجديدة الشديدة ، وشوارعها
المرصوفة الواسعة ، الحيد خير الدين بك العمري رئيس بلدية
الموصل ، أخذت السيارة منها إلى معاقل قبائل شمر المتيدة .

كنت قد أرسلت خبراً للشيخ عجيل الياور برغبتي في زيارتي
معاقله ، فلما يلقى خبر ترحيبه واستعداده لارسال سيارة من سياراته
الخاصة الفخمة تحملني من الموصل إلى خيامه ، شكرت له
ترحيبه ، واعتذرت من قبول الذهاب في سيارته ، لأن سيارتي
كانت حاضرة . فقبل المدر عن هذه ، ولكنه حتم أن يستقبلني
رجال في مناطق معينة من الطريق ، وأن يصطحبنا دليل منهم
إلى الخيام ، خشية أن نضل .

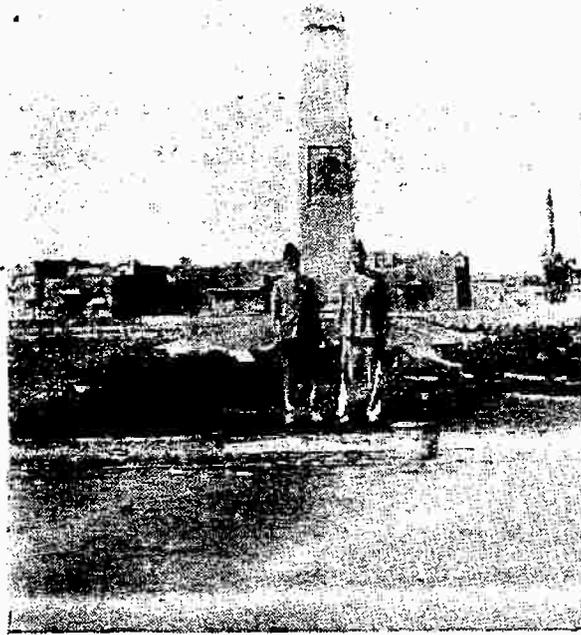


مدخل شارع القاروق من مبدأ فتحه
وهو أحد الشوارع الانشائية الواسعة بالموصل

قمنا بالسيارة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ من مارس ١٩٣٨ من
الموصل ووجهتنا « تل أعقر » — وتل أعقر هذه قرية في وسط
الطريق الذي طوله خمسون ومائة كيلو متر بين الموصل ومضارب
قبائل شمر بالشلفاوط .

تقع هذه القرية على نهر دجلة الذي رأيت للنساء يسلن
الأواني والنياب على ضفتيه ، وأدهشتني طريقة فصل النسوة
للملابس ، إذ تمسك كل امرأة مطرقة خشبية لدق النياب .
ولست أفهم الصلة بين إزالة الأوساخ من النياب وبين دقها بذلك

مخالف لما نراه في صحراء ليبيا أو قرب غزة والمريش مثلا
هذا تصحيح من رجل البادية عرفه بالتجربة العملية وليس
من الكتب ، ورجل البادية ولو أنه محدود التفكير إلى حد كبير
ليشته وظروفه ، إلا أنه كما لحظت عاد البصر نافذ البصيرة
متوقد الدكاء كريم ، له استمداد قوى للتقدم ، ولكنه شديد
الرضى سريع التسليم



منظر من حديقة الطيارين بالوصل
ويرى السيد خير الدين بك إلى اليمين . وهو رئيس البلدية
وله الفضل في الانشاءات الحديثة بالوصل

ومن أهم ما لفت انتباهي اعتماده على القدرة الإلهية ، أو على
من يتوسم فيه رعاية مصالحه ؛ وكل البدوي في هذه المناطق خاضعون
للنظام العشائري البحت ، ويأبون تدخل الحكومة في فض
مشكلاتهم من أي نوع ، ولو فرض وكان لبعضهم مشكلات
تصل إلى الحاكم في بغداد أو غيرها مثلا ، فشيخ مشايخ شمر
أو ابنه ، ذو الذي يمثل هؤلاء أمام الجهات المختصة ويدفع
عنه ويقض هذه القضايا . ولهذه الاعتبارات وأشبهها تخضع
القبائل لرئيسهم خضوعاً تاماً ، وهو يسهر على مصالحهم . ويسرني
أن أذكر بعض الشروط الإصلاحية التي أتت فعلا بين هذه
القبائل البدوية في العراق .

ترغب الكسليم

وهامى ذى عيون البدو ترمقنا من بعيد ، وسيارة الشيخ
تسرع في استقبالنا ، ونصل إلى المضارب أخيراً ، فيزبل عناءنا
بشر الشيخ وسجاءه المرية البدوية الكريمة : أهلاً ومرحباً ،
صاهو ذا المطر قد كف ، والسحاب بدأت تتكشف ، والماصفة أخذت
تهبأ . إن في مقدمكم الخير بزول اللبث فما أكرمه من مقدم .
فلسنا عليه وجلسنا خارج الخيام ، على مقاعد من قماش ذات
سندين وظهر من الخشب (مثل ما نتمعله على ظهر البياخرة أو
في الحديقة) فقلت في نفسي : غريب هذا في هذه البيئة ! وما
أسمع إلا والشيخ صفوك بن الشيخ هجيل الياور وولى عهد ملك
البادية يقول : —

You are well comed. We are very happy to see
you here.

« مرحباً بكم . إننا سعداء جداً برؤيتكم هنا »

قال ذلك في نطق صحيح ولهجة انجليزية أمريكية . فذهلت
شيخ بدوي قبح ، يرتدى الملابس البدوية والمغال ، وبينه وبين
الحضر أميال وأميال ، أو إن شئت نقل بينه وبين العالم والحياة
أجيال ، يكون هو هذا التكلم الداعب في لباقة ولباقة ؟ يا ما في
الدنيا عجائب !

وقلت : إنها مفاجأة لطيفة من رجل الصحراء ، فاستدرك
مسرعاً وقال : بل من رجل البادية

قلت : وما الفرق بين الصحراء والبادية أيها المعلم اليفظ ؟

قال : إن الصحراء مجدية ورمالها أخشن وتراكمها أسماك .

أما الأرض هنا (أي بين النهرين دجلة والفرات — موزوويتصيا
Mesopotamia) فن أحصب بقاع العالم

حقاً لقد رأيتها كلها مغطاة بالمشب المترعرع بقوة ، ونبات
القمح والشعير حسن النماء ، وشجر الزيتون موزق مورق مورق ...

انصرفت إلى تفكيري الخاص برمة ، أعلل سبب تحول هذه
للصحراء إلى باوية ممرعة . وأسفتني مميزات الجغرافية ،

فبينت أنه الرافدان بما امتازا به من روافد طمبية سميكة إبان
الفيضان ، ولمدم تنظيم تصريف مياههما لقلّة مشاريع الري ،

تفيض هذه المياه المتدفقة عاماً بعد عام على المساحات الشاسعة
جداً فيما بين النهرين وعلى جوانبهما الأخرى . فتتشعب الأرض

سنوياً بالمياه ويترج رملها بالطمى ، فأصبحت بقاعاً من أحصب
وأصلح البقاع الزراعية في العالم

ولذلك لون التربة أغبر بين الصفرة والحمرّة والسمرّة ، فلونها